

الحمد لله الذي شرح صدر من أراد هدایته للتّوحید ، وفرض شريعته على كل العبيد ، أَحْمَدَهُ أَنْ جعلنا خير أمة أخرجت للناس ، وخلع علينا خلعة الإسلام خير لباس ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، تفرد بالربوبية الألوهية وكمال الصفات والأسماء ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحابته الكرام .

أما بعد : في أيها الناس اتقوا ربكم حق التقوى ، فأئمَّا الزاد يوم النفاد ، وأئمَّا الغنيمة والدثار يوم العرض (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنت مسلمون) ، (يا أيها اتقوا الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً).

معاشر الموحدين : اعلموا أن الصلاة قرة عيون الحسين ، ولذة أرواح الموحدين ، وميزان أحوال السالكين دعى الله إليها كل يوم خمس مرات ، لتخليص بها النفوس من وعثاء الدنيا ، وتصفوا بها الأرواح ، وتأنس بها النفوس ، فالقلب كالأرض ! إذا أصابها القحط أجدبت وأفقرت ، فكذلك القلب فالقحط الذي يتزل بالقلب هو الغفلة ، فالغفلة هي قحط القلوب و جدها ، و ما دام العبد في ذكر الله و الإقبال عليه فغيث الرحمة يتزل عليه كالمطر المتدارك ، فإذا غفل ناله من القحط فتصير أرضه بوراً بعد أن كانت مخصبة بأنواع النبات ، و الشمار و غيرها ، و إذا تدارك عليه غيث الرحمة اهتزت أرض إيمانه و أعماله و رب ، و أنبتت من كل زوج بحير ، فكذلك القلب ، إنما يبيس إذا حلا من توحيد الله و حبه و معرفته و ذكره و دعائه ، فتصيبه حرارة النفس ، و نار الشهوات ، فتمتنع أغصان الجوارح من الامتداد إذا مددتها ، والصلاوة وُضعت لاستعمال الجوارح جميعها في العبودية تبعاً لقيام القلب بها ، و كان سر الصلاة و لبها إقبال القلب فيها على الله ، و حضوره بكليته بين يديه ، و ما بين الصالحين تحدث للعبد الغفلة و الجفوة و القسوة ، و أمر بأن يستقبل القبلة - بيته الحرام - بوجهه ، و يستقبل الله عز و جل بقلبه ، لينسلخ مما كان فيه من التولي و الإعراض ، و أقبل بكليته عليه ، ثم كبره بالتعظيم و الإحلال و واطأ قلبه لسانه في التكبير فكان الله أكبر في قلبه من كل شيء فوحده سبحانه في تكبيره وصرف النظر عن ماسواه ، فإذا قال : " سبحانك اللهم و بحمدك" و أثني على الله تعالى بما هو أهلها ، ونره عن ما لا يليق به سبحانه ، فإذا شرع في القراءة قدّم أمامها الاستعاذه بالله من الشيطان الرجيم ، فكان صرف الألوهية بالإستعاذه له سبحانه و تعالى ،

فينبغي بالمصللي أن يقف عند كل آية من الفاتحة وقفه يسيرة ، ينتظر جواب ربّه له ، و كأنه يسمعه و

فunden قوله : { الحمد لله رب العالمين } تجده تحت هذه الكلمة إثبات كـلـ كـمال للـرب و وـصفـا و اـسـما ، و تـنـرـيـهـ سـبـحـانـهـ و بـحـمـدـهـ عنـ كـلـ سـوـءـ ، فـعـلـاـ و وـصـفـاـ و اـسـمـاـ ، و إـنـماـ هوـ مـحـمـودـ فيـ أـفـعـالـهـ و أـوـصـافـهـ و أـسـمـائـهـ ، مـُـتـرـهـ عـنـ العـيـوبـ وـ النـقـائـصـ فيـ أـفـعـالـهـ وـ أـوـصـافـهـ وـ أـسـمـائـهـ .

فـأـفـعـالـهـ كـلـهاـ حـكـمـةـ وـ رـحـمـةـ وـ مـصـلـحـةـ وـ عـدـلـ وـ لـاـ تـخـرـجـ عـنـ ذـلـكـ ، وـ أـوـصـافـهـ كـلـهاـ أـوـصـافـ كـمـالـ ، وـ نـعـوتـ جـالـلـ ، وـ أـسـمـاءـهـ كـلـهاـ حـسـنـىـ وـ هـذـاـ كـمـالـ التـوـحـيدـ وـ غـاـيـةـ الـعـبـودـيـةـ ،

وـ لـمـ كـانـ قولـهـ { الرـحـمـنـ الرـحـيمـ } إـعـادـةـ وـ تـكـرـيرـاـ لـأـوـصـافـ كـمـالـهـ فـإـنـ الشـاءـ إـنـماـ يـكـونـ بـتـكـرـارـ الـحـامـدـ ، وـ تـعـدـادـ أـوـصـافـ الـحـمـودـ ، فـالـحـمـدـ ثـنـاءـ عـلـيـهـ ، وـ { الرـحـمـنـ الرـحـيمـ } وـ صـفـهـ بـالـرـحـمـةـ .

وـ عـنـدـ قولـهـ (إـيـاـكـ نـعـبـدـ وـ إـيـاـكـ نـسـتـعـنـ) وـ تـأـمـلـ عـبـودـيـةـ هـاتـيـنـ الـكـلـمـيـنـ وـ حـقـوقـهـماـ ، وـ مـيـزـ الـكـلـمـةـ الـتـيـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـ تـعـالـىـ ، وـ الـكـلـمـةـ الـتـيـ لـلـعـبـدـ ، وـ فـقـهـ سـرـ كـوـنـ إـحـدـاهـمـاـ اللـهـ ، وـ الـأـخـرـ لـلـعـبـدـ ، وـ مـيـزـ بـيـنـ

الـتـوـحـيدـ الـذـيـ تـقـضـيـهـ كـلـمـةـ { إـيـاـكـ نـعـبـدـ } وـ التـوـحـيدـ الـذـيـ تـقـضـيـهـ كـلـمـةـ { وـ إـيـاـكـ نـسـتـعـنـ } ،

أـرـادـ تـقـدـيمـ الـعـبـادـةـ — وـ هـيـ الـعـمـلـ — عـلـىـ الـاسـتـعـانـةـ ، فـالـعـبـادـةـ اللـهـ وـ الـاسـتـعـانـةـ لـلـعـبـدـ ، فـالـلـهـ هـوـ الـمـعـبـودـ ،

وـ هـوـ الـمـسـتـعـانـ عـلـىـ عـبـادـتـهـ ، فـإـيـاـكـ نـعـبـدـ ؟ أـيـ إـيـاـكـ أـرـيدـ بـعـبـادـيـ ، وـ هـوـ يـتـضـمـنـ الـعـمـلـ الصـالـحـ الـخـالـصـ ،

وـ الـعـلـمـ النـافـعـ الدـالـ عـلـىـ اللـهـ ، مـعـرـفـةـ وـ مـحبـةـ ، وـ صـدـقـاـ وـ إـحـلـاصـاـ ، فـالـعـبـادـةـ حـقـ الـرـبـ تـعـالـىـ عـلـىـ خـلـقـهـ ،

وـ الـاسـتـعـانـةـ تـتـضـمـنـ استـعـانـةـ الـعـبـدـ بـرـبـهـ عـلـىـ جـمـيعـ أـمـورـهـ ، وـ هـيـ القـوـلـ المـتـضـمـنـ قـسـمـ الـعـبـدـ. فـكـلـ عـبـادـةـ

لـاـ تـكـوـنـ اللـهـ وـ بـالـلـهـ فـهـيـ باـطـلـةـ مـضـمـحـلـةـ ، وـ كـلـ استـعـانـةـ تـكـوـنـ بـالـلـهـ وـ حـدـهـ فـهـيـ خـذـلـانـ وـ ذـلـ .

ثـمـ ليـتـأـمـلـ الـعـبـدـ ضـرـورـتـهـ وـ فـاقـتـهـ إـلـىـ قولـهـ { اهـدـنـاـ الصـرـاطـ الـمـسـتـقـيمـ } الـذـيـ مـضـمـونـهـ مـعـرـفـةـ الـحـقـ ، وـ

قـصـدـهـ وـ إـرـادـتـهـ وـ الـعـمـلـ بـهـ ، وـ الـثـبـاتـ عـلـيـهـ ، وـ الـدـعـوـةـ إـلـيـهـ ، وـ الـصـبـرـ عـلـىـ أـذـىـ المـدـعـوـ إـلـيـهـ فـبـاستـكـمالـ

هـذـهـ الـمـرـاتـبـ الـخـمـسـ يـسـتـكـملـ الـعـبـدـ الـهـدـيـةـ وـ مـاـ نـقـصـ مـنـهـاـ نـقـصـ مـنـ هـدـايـتـهـ.

ثـمـ شـرـعـ لـهـ بـأـنـ يـخـضـعـ لـلـمـعـبـودـ سـبـحـانـهـ بـالـرـكـوـعـ خـصـوـعـاـ لـعـظـمـةـ رـبـهـ ، وـ اـسـتـكـانـهـ لـهـيـتـهـ وـ تـذـلـلاـ لـعـزـتـهـ. فـشـنـاءـ

الـعـبـدـ عـلـىـ رـبـهـ فـيـ هـذـاـ الرـكـنـ ؟ هـوـ أـنـ يـحـيـيـ لـهـ صـلـبـهـ ، وـ يـضـعـ لـهـ قـامـتـهـ ، وـ يـنـكـسـ لـهـ رـأـسـهـ ، وـ يـحـيـيـ لـهـ

ظـهـرـهـ ، وـ يـكـبـرـ مـعـظـمـاـ لـهـ ، نـاطـقـاـ بـتـسـبـيـحـهـ ، المـقـتـرـنـ بـتـعـظـيمـهـ. فـاجـتـمـعـ لـهـ خـصـوـعـ الـقـلـبـ ، وـ خـصـوـعـ

الـجـوـارـحـ ، ثـمـ نـقـلـهـ مـنـهـ إـلـىـ مـقـامـ الـاعـتـدـالـ وـ الـاسـتـوـاءـ ، وـ هـذـاـ الـاعـتـدـالـ ذـوقـ خـاصـ وـ حـالـ يـحـصلـ لـلـقـلـبـ ،

وـ يـخـصـهـ سـوـىـ ذـوقـ الـرـكـوـعـ وـ حـالـهـ ، وـ هـوـ رـكـنـ مـقـصـودـ لـذـاتهـ كـرـكـنـ الـرـكـوـعـ وـ السـجـودـ سـوـاءـ.

وـ هـذـاـ كـانـ رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ يـطـيلـهـ كـمـاـ يـطـيلـ الـرـكـوـعـ وـ السـجـودـ ، وـ يـكـثـرـ فـيـهـ مـنـ الشـاءـ

وـ الـحـمـدـ وـ الـتـمـجـيدـ ، ثـمـ شـرـعـ لـهـ أـنـ يـكـبـرـ وـ يـدـنـوـ وـ يـخـرـ سـاجـداـ ، وـ يـعـطـيـ فـيـ سـجـودـهـ كـلـ غـضـوـ منـ

أَعْصَائِهِ حَظًّا مِنَ الْعَبُودِيَّةِ ، ثُمَّ شَرَعَ لَهُ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ ، وَ يَعْتَدِلَ جَالِسًا ، وَ لَمَّا كَانَ هَذَا الْاعْتِدَالُ مَحْفُوفًا بِسَجْدَتَيْنِ ؛ سَجْدَةٌ قَبْلَهُ ، وَ سَجْدَةٌ بَعْدَهُ ، فَيَنْتَقِلُ مِنَ السَّجْدَةِ إِلَيْهِ ، ثُمَّ مِنْهُ إِلَى السَّجْدَةِ الْآخِرَةِ ، كَانَ لَهُ شَأنٌ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطِيلُ الْجَلْوَسَ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ بِقَدْرِ السَّجْدَةِ يَتَضَرَّعُ إِلَى رَبِّهِ فِيهِ ، وَ يَدْعُوهُ وَ يَسْتَغْفِرُهُ ، وَ يَسْأَلُهُ رَحْمَتَهُ ، وَ هَدَايَتَهُ وَ رَزْقَهُ وَ عَافِيَّتَهُ ، وَ لَمَّا كَانَ مِنْ عَادَةِ الْمُلُوكِ أَنْ يَحْيِوَا بِأَنْوَاعِ التَّحِيَّاتِ مِنَ الْأَفْعَالِ وَ الْأَقْوَالِ المُتَضْمِنَةِ لِلْخُضُوعِ لَهُمْ ، وَ الدَّلْلُ ، وَ الشَّاءُ عَلَيْهِمْ وَ طَلْبُ الْبَقَاءِ ، وَ الدَّوَامُ لَهُمْ ، وَ أَنْ يَدُومُ مُلْكُهُمْ .

فَمِنْهُمْ : مَنْ يَحْيِي بِالسَّجْدَةِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَحْيِي بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَ مِنْهُمْ : مَنْ يَحْيِي بِطَلْبِ الْبَقَاءِ ، وَ الدَّوَامِ لَهُ .
وَ مِنْهُمْ : مَنْ يَجْمِعُ لَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ فَيَسْجُدُ لَهُ ، ثُمَّ يُشَيِّنُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَدْعُو لَهُ بِالْبَقَاءِ وَ الدَّوَامِ . وَ كَانَ الْمَلَكُ الْحَقُّ الْمَبِينُ ، الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَ جَهَهُ سُبْحَانَهُ أَوْلَى بِالْتَّحِيَّاتِ كُلَّهَا مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ ، وَ هِيَ لَهُ بِالْحَقِيقَةِ وَ هُوَ أَهْلُهَا ؛ وَ هَذَا فُسْرَتُ التَّحِيَّاتِ بِالْمَلَكِ ، وَ فَسَرَتْ بِالْبَقَاءِ وَ الدَّوَامِ ، وَ حَقِيقَتُهَا مَا ذَكَرَتْهُ ، وَ هِيَ تَحِيَّاتُ الْمُلْكِ وَ الْمَلَكِ وَ الْمَلِيكِ . فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُتَصَفُّ بِجَمِيعِ ذَلِكَ ، فَهُوَ أَوْلَى بِهِ فَهُوَ سُبْحَانُهُ الْمَلَكُ ، وَ لَهُ الْمُلْكُ ، فَكُلُّ تَحِيَّةٍ تَحِيَّ بِهَا مَلَكٌ مِنْ سَجْدَةٍ أَوْ ثَنَاءً ، أَوْ بَقَاءً ، أَوْ دَوَامًا فَهِيَ لِلَّهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ ؛
فَكَانَتِ الصَّلَاةُ مِنَ التَّكْبِيرِ إِلَى التَّسْلِيمِ فِي صَلْبِ التَّوْحِيدِ مَا بَيْنَ تَنْزِيهِ وَ تَمْجِيدِ وَ خُضُوعِ .